استلهام التراث في تنمية ثقافة الطفل
أدب الرحلة والاستكشاف نموذجاً

د. يحيى بن بهون حاج امحمَّد

أستاذ محاضر "أ"

جامعة غرداية–الجزائر

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين الذي جعل العلم سبيل معرفة دينه والقيام بشرائعه، والصلاة والسلام على إمام المعلمين وسيد المرسلين نبينا مُحَمَّد الذي بين فضل العلم وحث عليه، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا، أما بعد:

فإن طلب العلم فريضة على القادر متعيّن لحاجة الأمة، لأنَّ به قوام أمرها وصلاح شأنها، وبه تقام شعائر الله، وبه تعمر الأوطان، ويعم الخير والأمن والرفاهة، وهو سبيل الصالحين، والعلماء هم ورثة الأنبياء...

وطلب العلم يكون بطرق شتى منها "الرحلة والاستكشاف" في شتى البلدان، وسبيل "الرحلة" معروف عند العلماء منذ القدم، حتى اشتهر أعلام كثيرون بـ"السفر والرحلة" لطلب العلم مشرقاً ومغرباً، إذ جابوا عديد البلدان التي كانت عواصم الثقافة والعلم في وقتهم، والسفر لطلب العلم فيه فوائد كثيرة منها ما يعود على طالب العلم، ومنها ما يعود على البلد الذي رحل منه طالب العلم، ومنها ما يعود على الأمة بأسرها، ففي الرحلة لطلب العلم صقل لمواهب الطالب، وتعويد الاعتماد على النفس في التحصيل والتدقيق، وفيه نقل للعلوم من بلد إلى آخر، والتواصل واكتساب الأصدقاء وتبادل الأفكار والتجارب... إلى غير ذلك من الفوائد العديدة، وقد أوجز الإمام الشافعي أبرزها بقوله:

تَغرَّب عَنِ الأوطَانِ في طَلَبِ العُلاَ   وَسَافِر فَفِي الأسفَارِ خَمسُ فَوَائِدِ
تَفرِيجُ هَمٍّ وَاكتِسَابُ مَعِيشَةٍ   وَعِلمٌ وَآدَابٌ وَصُحبَةُ مَاجِدٍ[1]

من هذا المنطلق يأتي موضوع هذا البحث ليسلّط الضوء على أدب الرحلة كموروث تراثي حضاري، كيف يمكن أن نستلهم منه ما يحفزّ الناشئة على طلب العلم النافع؟ وكيف نربطهم بتراثهم وتاريخ أسلافهم الماجد؟ وما هي الفوائد التي يمكن أن نستخرجها من أدب الرحلة؟ وكيف يمكن أن نقدمهما للناشئة دروساً وقيماً فاضلة؟

ثم ما هي تجليات الرحلة الاستكشافية في تنمية ثقافة النشء؟ وبما يمكن أن نوجههم فيها لاستغلال أوقات فراغهم بما يعود عليهم بالنفع والفائدة؟ وكيف نعزز فيهم التربية الجمالية، وحبّ الطبيعة والاستكشاف ؟ ...إلخ.

وقد اخترت لذلك عدّة نماذج تطبيقية بما يفيد توجهات وتطلعات جمعيات رعاية الطفولة في الوطن العربي، ومن آفاقه دعم الجمعيات والمؤسسات التي قد أخذت على عاتقها تأطير الناشئة ومرافقتهم من خلال نشاطها التربوي والترفيهي، راجياً في ذات الوقت أن يكون هذا البحث في مستوى تطلعات القرّاء.

2- ما ورد في الأثر مما يحثّ على طلب العلم والرحلة من أجله

لقد أثنى الله عز وجل على العلم وأهله، ورتب لمن سار في طريقه الأجر والمثوبة ورفع الدرجات في الدنيا والآخرة، ومن إكرام الله عز وجل للعلماء استشهاده بهم على أعظم مشهود به وأجله وهو توحيده، وقَرَنَ شهادتهم بشهادته وشهادة الملائكة، فقال عز وجل: **{شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ}**(2).

قال الإمام القرطبي: في هذه الآية دليل على فضل العلم وشرف العلماء وفضلهم، فإنه لو كان أحد أشرف من العلماء لقرنهم الله باسمه واسم ملائكته كما قرن العلماء(3).

كما رفع الله جل وعلا درجة المؤمنين العالمين فوق درجة جهلة المؤمنين (وفي كل خير) فقال تعالى: **{يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ}**(4)، قال الشوكاني: **{يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ}** في الدنيا والآخرة بتوفير نصيبهم فيهما **{وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ}** أي: ويرفع الذين أوتوا العلم منكم درجات عالية في الكرامة في الدنيا، والثواب في الآخرة، ومعنى الآية: أنه يرفع الذين آمنوا على من لم يؤمن درجات، ويرفع الذين أوتوا العلم على الذين آمنوا درجات، فمن جمع بين الإيمان والعلم رفعه الله بإيمانه درجات، ثم رفعه بعلمه درجات(5)، ولاختلاف تلك المنازل والدرجات فإن الله عز وجل نفى التسوية بين أهل العلم والعوام، فقال عز من قائل عليماً: **{قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ}**(6).

وقال ρ مبيناً مكانة العلماء: «**العلماء ورثة الأنبياء**»(7) ومعلوم أنه لا رتبة فوق النبوة، ولا شرف فوق أن ينال أحدٌ تلك الرتبة(8)، وقال ρ: «**من سلك طريقاً يلتمس به علماً سهل الله به طريقاً إلى الجنة، وإنَّ الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضاء بما يطلب، وإن العالم ليستغفر له من في السموات والأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر**»(9).

والخطوات التي يسير بها طالب العلم في طريق تحصيله له فيها أجر عظيم، فقد قال رسول الله ρ : «**ما من خارج خرج من بيته في طلب العلم، إلا وضعت له الملائكة أجنحتها رضاً بما يصنع حتى يرجع**»(10).

إذاً فالإسلام دين ينبذ الجهل، ويحثّ على طلب العلم، ويرتب الأجر والمثوبة على ذلك، ويكفي هذا الأمر داعياً إلى طلب العلم فإنه طريق للجنة تماماً كما أنه موصلٌ إلى أبوابها.

3- مفاهيم استخدام التراث في أدب الأطفال

نقصد باستخدام التراث في أدب الأطفال، أن يعود الكاتب إلى التراث بأشكاله المتعددة ليصوغ منه أو

ليستمد منه أدباً للأطفال، بحيث يصبح التراث عنده مصدراً لأدب الأطفال، على أنَّ التراث يتميز بكونه:

1- أصيل في شكله ومضمونه.

2- بأنه أقرب الأشياء إلى نفس الإنسان ولاسيما الأطفال منهم.

3- أنه مليء بالحوادث والحركة وبالانفعال.

4- يمتلك خطاً درامياً، يمكن صياغة أحداثه في قصة أو مسرحية أو فيلم كرتوني أو سينمائي...

وهو متنوع وأساليب استخدامه عديدة، وتكاد تشكل هذه الأساليب غالبية نماذج أدب الأطفال، فالتراث ينبوع ثراء للفكر والفن مما يعين على التواصل الحي بين الماضي والمستقبل، كما يسمح للمؤلف بإلقاء نظرة عن كثب فيصدر به عن بيّنة وعلى رؤية أفضل للوجود، وعلى وعي أعمق للوضع البشري، لتمتين عُرى التواصل بين الأوّلين والآخرين، ولتبقى القيم شاهداً وحارساً لبناء الإنسان.. ومِن هنا يحق للتراث أن يكون أغنى مصدرٍ لأدب الأطفال[11].

أ . أشكال التراث:

لقد تطرق الدارسون والمهتمون إلى التراث، فوقفوا على أنواعه وأشكاله، وهو يتوزع عموماً على الأنواع التالية:

التراث الديني: ومنه تستمد النماذج الرائدة والموضوعات والصور الأدبية، لشخصيات الأنبياء ومنهم نبينا مُحَمَّد ﷺ، والصحابة والتابعين من رجال الدين، وكل من تتجسد فيهم القيم السمحة للديني الإسلامي خاصة.

التراث التاريخي: بما يحتويه من أحداث وشخصيات تدلّ دلالات باقية على وجودها التاريخي، وقابلة للتأويل أو التفسير مثل أبطال الثورات والدعوات النبيلة والشهداء، وشخصيات القادة والأمراء والخلفاء والقواد الذين يمثلون الوجه المضيء بما حققوه من انتصارات وفتوحات، أو بما أرسوه من دعائم العدل... أو غير ذلك من شخصيات صنعت أمجاد أوطانها.

التراث الأدبي: وهو مجموع الشخصيات الأدبية أو المبدعة ممن كانوا رمزاً لقضية كبرى، سياسية أو اجتماعية أو حضارية أو فنية أو فكرية.. إلخ، أي تركوا بصمتهم أدباً أو فكراً يُقرأ ويُدرس...

التراث الشعبي: بمصادره المختلفة أيضاً، كألف ليلة وليلة، والسير الشعبية، والحكايات والنوادر الخرافية ككليلة ودمنة والسندباد البحري... وغيرها من القصص المماثلة.

التراث الأسطوري: باعتباره وعاء للتجربة البشرية الأولى على نحو فكري خصيب، وثمة أساطير كثيرة كانت أساساً لأعمال أدبية كبرى[12]، أبرزها: ملحمة جلجامش، وإلياذة هوميروس... إلى غير ذلك.

ب . استخدام التراث:

إن البحث في أشكال التراث يستدعي النظر في موضوعات استخدامه من منطلقين، الأول منطلق القصد الفكري والفني والتربوي، والثاني منطلق الطرق والأساليب التي لجأ إليها الكتّاب لتحقيق ذلك القصد، فهناك

أسباب دعت هؤلاء الكتاب لاستخدام التراث مصدراً لأدبهم، وهناك أسباب جعلتهم يصوغون هذا الاهتمام على نحو أو آخر.

ومعرفة هذه الأسباب يساعد على معرفة مواقف الكتّاب من التراث، ومعرفة نظرتهم إليه، وكيفية تعاملهم معه، ونستطيع أن نتلمس هذه المواقف في ما يلي:

أسباب فكرية: يوفر التراث أرضية جاهزة في المخاطبة، ولاسيما الناشئة مما يسهّل عملية الاتصال على أرض صلبة؛ لأنَّ التراث ــ في نهاية الأمر ــ هو عناصر الثقافة التي تتناقل من جيل إلى آخر، والتراث هو الأبقى كموروث شفاهي متكرر في الحياة اليومية، وفي وجدان الناشئة، وكتراث شعبي لا يزال يشكّل حيزاً كبيراً من الذاكرة الجماعية، وكرواية شعبية باعتبارها تجلّيات صافية لحصيلة المضامين أو الممارسات المختلفة للسلوك وأساليب الحياة على وجه العموم، فالتراث، بهذا المعنى، يحتفظ بوحدة ثقافية مستمرة تعين على المخاطبة الناجحة(13).

أسباب فنية: لأنَّ التراث يحمل قابلية الاتصال بالجماهير بفعالية لا يوفرها الأدب المستند إلى قوة التخييل وسعة الكلمات ومضاء المعنى وحده، فالتمثيليات والمسرحيات وفنون القول والتخاطب المباشر... وغيرها تحوي هذه الخاصية، كما أنَّ التراث قريب من الذات، ويحوي صياغات موصوفة في التعبير، توفّر للرؤيا عناصر أليفة مع الوعي بعد ذلك.

أسباب تربوية: فالتراث أقدر على المخاطبة من مصادر مبتدعة تحتاج إلى هامش مضاعف من التربية أو التثقيف لكي يكون بمقدور المتلقي، ولاسيما الطفل أن يتفاعل معها، إنَّ الثقافة الوطنية أو الشعبية تيسّر سبل الاتصال بالتراث، وتمكن الجمهور من اعتماله المؤثر بالخطاب الموجه إليه، وهي مزية جاهزة يفتقر إليها الأدب المبتدَع بعيداً عن التراث.

وتكمن في هذه الأسباب تفاصيل اتجاهات الموقف من التراث مما يتعلق بوجهة الاستخدام، حيث تعكس هذه الوجهة القضية برمتها: كيف نقدم التراث للأطفال؟ وأي أسلوب أقدر على مخاطبة الأطفال؟ وأي منظور تربوي أكثر سلامة في بلورة قيم التراث؟ وأي توجه فكري في هذا الاستخدام أو ذاك؟ إن هذه الأسئلة تتعلق بمفاهيم استخدام التراث، ولاسيما في أدب الأطفال، وأن الاهتمام بالأسئلة يصب في صميم قضية التراث من مختلف الجوانب، حضارياً وفكرياً وسياسياً واجتماعياً، وتزداد خطورة قضية التراث كلّما أوغلنا في سنوات اليفاعة أو الطفولة، مادام التراث هو الأكثر حميمية وتأثيراً بالبنية الجماعية للفرد، وما دامت الموّرثات هي الأبقى في تكوين الفرد ووجدانه.

واستخدام التراث يرتكز على: الاستلهام، والإعداد والاقتباس، والتحويل، والتقديم، والاستدعاء(14)، وهي مفاهيم تتداخل فيما بينها وتتكامل، وعلى ضوئها يمكن أن نقدّم للأطفال تراثهم القديم في حُلل أدبية جديدة تتناسب وإدراكهم الفكري، وعلى سبيل المثال فإنَّ الاستدعاء هو استحضار الشخصيات أو الأحداث

أو المراحل التاريخية في عمل أدبي جديد، ويكون الاستحضار جزئيّاً أو كليّاً، وتصريحاً أو تلميحاً، تعبيراً مباشراً أو تعبيراً فنياً وهو صنيع كثير من الكتاب في الكتابة عن معارك العرب على وجه الخصوص، وسنوّضح كيفية تطبيق بعض المفاهيم الأخرى في الأمثلة التي سنتعرض لها.

4 – آثار السلف في الرحلة لطلب العلم:

لو ذهبنا نبحث في فضائل طلب العلم لطال بنا المقام، ولأنها كذلك أي هي مما يعدّ ولا يحصى، فقد أدرك قدرها الأوّلون، إذ ساروا في طلب العلم يَصِلون الليل بالنهار ويقطعون الفيافي الخالية والصحاري الموحشة والبحار المظلمة، وحصلوا من رحلاتهم تلك على خيرٍ عميم، وخلدّوا مآثرهم في صفحات التاريخ بما ألّفوا وسجّلوا.

هذا وإنَّ الحديث عن سبل تنمية ثقافة الطفل وغرس القدوة في نفسه منذ الصغر، مطلبٌ هامٌ ودقيقٌ للغاية، حتى إذا شبَّ الطفل واشتّد عوده أحبَّ طلبَ العلمِ ولم يتوانى عن السفر إليه وإن كان في أقاصي الأرض وأعالي البحار، لذا يستحسن أن نقدم بين يديه خلال فترة عمرية معيّنة "الرحلات" التي ستُسهم في بناء شخصيته "الرحالة والاستكشافية"، خاصة وأنَّ استعدادات الطفل من الفضول وحبّ التطلّع تؤهله لذلك، فبعد أن نكون قد قدمنا له النماذج "الخيالية" من باب الإمتاع وتنمية الخيال وتنمية اللغة في قصص "السندباد البحري" و"المصباح السحري"... وغيرها، يمكن أن نقدم له في فترة عمريّةٍ لاحقةٍ النماذج "الواقعية" لأنَّ منطق العقل يقبلها، ولاشك أنَّ أسئلته عنها ستتوالى لاحقاً في المدرسة وغيرها، خاصة إذا تعلق موضوعها بشخصية من وطنه، ومن هنا فهي تصلح لأن "تنميَّ ثقافته" من هذا الجانب.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنّه أثناء رحلة البحث المتجددة مِن طرف المربي عن القدوة الحسنة لابد له من العودة إلى التراث بتاريخه وشخصياته، وقد كان هذا النهج وما يزال ديدن كبار الكتّاب، ولعل من أشهرهم الشاعر سليمان العيسى الذي يعدّ بحقّ ظاهرة في أدب الأطفال العربي، كمّاً ونوعاً، وهو الكاتب الأكثر اتصالاً بالتراث العربي واستلهامه في أدب الأطفال، سعياً إلى تحقيق الذات العربية في ظل وجود زخمٍ تاريخيٍّ حرٍّ للعرب والمسلمين، عكس كتّابٍ رياديين كُثر سبقوه في مخاطبة الأطفال، ولكنهم آثروا استلهام تراث الإنسانية بالدرجة الأولى، مثل كامل كيلاني وأمينة السعيد وعادل الغضبان، بينما يكاد العيسى يقتصر على التراث العربي في استمداد موضوعاته وأفكاره وتعابيره، وليس هذا الاستمداد نتاج تعصبٍ، بل هو في صلب رؤيته للحياة، وما يريد للأطفال أن يروه(15).

وبالعودة إلى النماذج المختارة على سبيل المثال، وهي كثيرة، فإننا نفضل صبّها على واقع البيئة أو المكان الذي يحتضن فعاليات مؤتمرنا هذا، لذا فإنَّ مادة هذه الورقة ستكون موجهةً أساساً إلى ملتقى الطفل والكتاب الذي يعقد دورياً بتراب بلدية العطف، ولاية غرداية، بالجنوب الجزائري، والنماذج المختارة غير بعيدة عن بيئة الملتقى حتى تفيد بعض غايات وأهداف المؤتمر، وكذا جمعية الطفولة السعيدة صاحبة المشروع الرائد، تماما كما

نأمل أن تفيد دراستنا الجمعيات والمنظمات والمؤسسات المشاركة في المؤتمر، إذ يمكن تعميم بعض مقترحات هذه الورقة ــبعد دراستها ومناقشتهاــ على بيئات أخرى جزائرية ومغاربية لاشتراكها في كثير من النقاط "الوحدويّة الجامعة" كاللغة والدين ووحدة التراب والتاريخ والماضي المشترك والمصير المشترك أيضا، وتقديمه إلى بيئات أخرى عربية، وقد لاحظت عدم اهتمام كبير بهذا الموضوع رغم أهميّته في تكون جيلٍ متماسكٍ ومتوازنٍ، "يسعى للتواصل مع أشقائه مشرقاً ومغرباً"، وهذا مما نطمح إليه.

أولاً: أدب الرحلة

إنَّ "الرحلة" بمفهوم التنقّل من مكان إلى آخر تتصل بتاريخ الإنسان ومنذ أقدم العصور، فأول رحلة قام بها الإنسان هي رحلة من بساتين الجنة إلى سطح الأرض، وبعد أن ألقى آدم عصا الترحال على وجه الأرض بدأ نسله يسيرون من منطقة إلى أخرى رجاء كسب القوت تارة، وحُبّاً في "الاستكشاف" والتمتع ببيئات جديدة تارة أخرى..، أما تدوين هذه الرحلات والتنقلات أو تسجيلها فقد قام به الإنسان بعد قرون طويلة، غير أنه سبقت بعض الأمم إلى التعبير عن رحلاتهم عن طريق الرسم على جدران المغارات والكهوف وذلك قبل أن يعرف الإنسان الكتابة..

وبالنسبة للعرب فقد قاموا بدور الرحالين، وعُرفوا برحلة الشتاء والصيف، ولما جاء الإسلام هاجر المسلمون إلى الحبشة ثم إلى يثرب، ثم انطلقوا في رحلات نشر الإسلام مشرقا ومغرباً.. وظهر أدب الرحلة في فنونهم الأدبية شيئا فشيئا.

أما سكان "شمال إفريقيا" أو "المغرب الكبير" لما عرفوا الإسلام اعتنقوه عن حبٍّ وإخلاصٍ، وأحبوا رسول الهدى عليه الصلاة والسلام، وأحبوا بيت الله الحرام، إذ يربطهم به قبلة صلواتهم الخمس ومهبط الوحي، يحجون إليه مرة كل عام من مختلف بقاع الأرض، لا يمنعهم حَرٌّ ولا قَرٌّ، ولا قلة زاد أو رفيق، فمتى ما تهيأت لأحدهم بعض الأسباب التي تخول له الرحيل، إلاَّ وانطلق لأداء الشعيرة الخامسة في الإسلام، وقد وفّق بعض العلماء إلى تدوين رحلاتهم تلك حتى تكون زاداً معرفياً وتذكرة لمن يأتي من بعدهم، وتحفيزاً لطلبتهم الناشئين كي يتعلقوا بالحج منذ الصغر حتى إذا شبوا ساروا إليه.

أ. رحلة الوارجلاني:

لقد قيّض الله لنا بعض الأعلام الذين أرَّخوا لرحلاتهم من المغرب الإسلامي إلى أرض الحجاز ذهابًا وإيابًا، ومن هؤلاء الأعلام البارزين الذين ساروا إلى الحجّ في زمانهم ووضعوا قصائد حجازية في ذلك نجد الشيخ أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم بن مناد السَّدراتي الوارجلاني أحد أشرف علماء الإباضية بالمغرب الإسلامي، وهو كما وصفه الدَّرجيني صاحب كتاب طبقات المشائخ بالمغرب: "هو بحر العلم المسخر للنفع فترى الفلك فيه مواخر، الرفيع القدر والهمة، الجامع لفضائل كل أمة، المحتوي على علوم جمة.."[(16)]، ولد بسدراته بوارجلان

سنة 500هـ/1106م (800كم جنوب العاصمة الجزائر) وبها توفي ودفن ــرحمه الله_ سنة 570 هـ /1175 م

ترك آثاراً علمية عديدة في التفسير والحديث وأصول الدين والتاريخ وعلم المنطق... وكان عالماً موسوعياً، كما ترك "قصيدة حجازية" يصف فيها رحلته الشّيقة إلى الحج ذهاباً وإياباً، وفيها مشاهد ومواعظ كثيرة ومفيدة عن تلك الرحلة.

وقبل ذلك أي لمّا كان شاباً عقَدَ رحلةً إلى الأندلس لطلب العلم، ومكث بمدينة قرطبة خمس سنين حتى لُقِّبَ فيها بـ"جاحظ الأندلس"(17)، ولما عاد منها لم يلبث طويلاً حتى قرر الارتحال إلى السودان (السنغال، غينيا، ساحل العاج..)، وذلك من أجل التجارة، وقد وصل إلى قريب من خطّ الاستواء، ولما عاد منه عقد رحلته الثالثة وهي إلى الحجاز لأداء مناسك الحج، وتذكر بعض الروايات أن الوارجلاني عندما عزم على المسير إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، كان يريد أيضاً رؤية "الزَّمخشري" صاحب "تفسير الكشّاف"، وهو ممن اشتغلوا بعلم الكلام، ولما بلغ الوارجلاني أرض الحجاز فوجئ بوفاة الزَّمخشري، فأوقع ذلك في نفسه حسرةً كبيرة، ولما أنهى مناسك الحج قفل راجعاً لبلاده وكان ذلك سنة 538هـ.

وقد نظم الوارجلاني رحلته شعراً في قصيدة حجازية تقع في 374 بيتاً، من بحر الطويل، هي غاية ما تكون في الرقة والجمال، وجزالة اللفظ ودقة المعاني، فصح فيها بذلك قول المؤرخ الدَّرجيني "...ولعمر الله إنَّ فيها لفوائد كثيرة"(18).

- **من فوائد رحلة الوارجلاني:**

قيّد الوارجلاني في رحلته أسماء بعض القبائل البربرية والعربية وبيّن أصولها، وكذا التعريف بكثير من المواضع والأماكن التي تمتد بين وارجلان ومصر والحجاز عبر الفيافي والقفار، ومنها ما غفل عنه أصحاب المعاجم.

تقييد مهم عن طبائع الأقوام في كل منزلة من منازل الطريق تقريبا، ثم تفصيل بديع في مناسك الحج جميعها...، وقد أنهى قصيدته البديعة بوعظ وحكم كثيرة وظف فيها البيان والبديع...

وصف الورجلاني حادثة تحطم الباخرة التي أقلّتهم من ميناء ينبع في عرض بحر القلزم (الأحمر) وهلاك كثير من الحجاج، وقد نجا هو قليل من مرافقيه في تلك الرحلة المأساوية الرهيبة.

ب. رحلة القطب أطفيَّش:

تعد رحلة الشيخ أمحمد بن يوسف أطفيَّش الشهير بـ"قُطب الأئمة" هي الأخرى واحدة من بين أجمل الرحلات الحجازية وأبدعها في العصر الحديث نظراً للجوانب العلمية التي حفَّت بها، وهو ما أكسبها قيمة أدبية وتاريخية معتبرة.

أمَّا صاحبها فهو عالم زمانه في المعقول والمنقول، ولد سنة 1236هـ/ 1820م، وتوفي ــرحمه الله_ 1332هـ/ 1914م، عن عُمرٍ يناهز 96 سنة، وقد شهد له جميع من عرفوه من العلماء الأعلام بالرسوخ

في العلم، وقد قضى قرابة القرن في الجهاد العِلمِي والإصلاح الاجتماعي ومحاربة الاستعمار الفرنسي، وتذكر بعض المصادر أنه كان من السبعة المقتولين بالسم سنة 1914م، إذ وضع له أحد العملاء الفرنسيين سُمًّا في حذاءه تسبب في وفاته بعد أسبوع(19).

ترك القُطب ثروة فكرية ضخمة، حيث بلغت عدد مؤلفاته أزيد من مئة مؤلف في شتى العلوم منها:

في علم التفسير:– هميان الزاد إلى دار المعاد، مط، ويقع في 13 مجلدًا. وتيسير التفسير، مط، يقع في 13 جزءًا.

في التجويد: – تلقين التالي لآيات المتعالي، مخ. وجامع حرف ورش، مط.

في الحديث: – وفاء الضمانة بأداء الأمانة، مط. وجامع الشمل في حديث خير الرسل ρ، مط.

في الفقه: – شرحُ شرحِ مختصر العدل والإنصاف، 12 مجلدا. وشرح كتاب النيل وشفاء العليل، في 18 مجلدًا.

إلى غير ذلك من الفنون: كالأدب واللغة، وعلم الفلك والحساب، والتاريخ، والتوحيد وعلم الكلام والفلسفة.

وبالإضافة إلى نبوغه في التأليف فقد تخرج على يديه عشرات التلاميذ، الذين أصبحوا فيما بعد من أبرز العلماء وأجل الشخصيات المجاهدة والداعية، وقد انبثُّوا في معظم أقطار تونس وليبيا والعالم الإسلامي، من مْزاب إلى جربة ونفوسة وعُمان، أشهرهم: سليمان باشا الباروني النفوسي، وسعيد بن تعاريت الجربي، والشيخ إبراهيم أبو اليقظان، وأبو إسحاق إبراهيم أطفيَّش الجزائري، وصالح بن يحي بن الحاج سليمان آل الشيخ، والحاج عمر بن حمو بكلي، والحاج عمر بن يحيى، ومُحمَّد بن صالح الثميني، وإبراهيم بن بنوح مطياز... وغيرهم.

– **من فوائد رحلة القطب:**

عقد القطب أطفيَّش رحلتين إلى الحج، أما الأولى فقد كانت سنة 1290هـ/1873م وهي التي يتردد ذكرها كثيرًا في مؤلفاته، والرحلة الثانية فقد كانت سنة 1303هـ/1886م وهي التي سجّل تفاصيلها الدقيقة في "قصيدته الحجازية"، وقد كانت رحلتيه إلى الحج مفعمتين بالنشاط العلمي والمعرفي، وتوطيد العلاقات مع علماء العالم الإسلامي...، ومن فوائدها أيضا: التأريخ لتراث الجزائر خصوصًا والعالم الإسلامي عمومًا، والتواصل بين العلماء عند التقائهم في الحجاز ومصر وتونس وغيرها، وتفقد أوضاع المسلمين في كامل أقطار العالم الإسلامي، وعرض جديد العلماء في التأليف، واجتهاداتهم أي التعرف والاعتراف بجهود بعضهم البعض، والتعريف بمختلف الجوانب الحياتية الأدبية والسياسية والاقتصادية.. في مختلف الأمصار، وصنع أجواء من التواصل الإخواني من خلال المراسلات المختلفة وتبادل الكتب وغيرها(20)...

من هنا فإنَّ رحلة القُطب الحجازية ضربت لنا مثالاً آخر في التواصل بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، كما عكست جوانب فاضلة من أخلاق العلماء، ونقلت لنا صورًا حية عن طبائع المسلمين في تلك الحقبة التاريخية المهمة، وبالتالي تصلح أن تقدّم للناشئة بما تحفّزهم على طلب العلم والرحلة من أجله أسوة وقدوة بسلفهم الصالح.

ج- أنموذج من رحلة للفتيان:

"إبراهيم والرحلة في طلب العلم"، تأليف د.محمّد بن قاسم ناصر بوحجام.

هي رحلة مصورة تقع في 16 صفحة، وضعها المؤلف على شكل حوار بين أب وابنه، وقد استهلها كما يأتي:

"**الأب**: يا بُني، إنّ الإقبال على طلب العلم قد ضعُف، والصبر على التعلّم قد نقص؛ رغم أنه لا مكان في زماننا هذا لغير العلم والمتعلمين. اسمع إليَّ جيّداً، أحك لك حكاية تلميذٍ جادٍّ مجتهد؛ جعل هدفه أن يكون عالماً، ينفع أمّته ومجتمعه _وفعلاً صار عالماً فيما بعد_ رغم أنه كان يتيماً وفقيراً. حدثت له كثير من المشاكل والعراقيل، التي كادت أن تحرمه من الدخول إلى المدرسة أو الاستمرار في التعلّم على الأقل.

الابن: يا أبت، أنا مشتاقٌ لسماع حكاية هذا الولد، عساي أكون مثله في الجدّ والاجتهاد، فإنّني أشعر بفتورٍ في العمل وطلب العلم، كبقيّة أبناء زماننا هذا.

الأب: سوف أروي لك موقفاً واحداً من المواقف التي أظهرها هذا الولد البارّ. عليك أن تتأمّل فيه، وتقيس نفسك عليه.

الابن: أبتِ، لقد نَفِذَ صبري، وطال شوقي لمعرفة قصّة هذا الفتى النّجيب _كما تذكره_ هات ما عندك مشكوراً"[21]...

ثم شرع المؤلف بعد ذلك في التعريف بشخص إبراهيم، منشأه وتعلمه الأول، ثم رغبته في التعلم خارج وطنه، وما كان من فقره وحاجة أهله إليه...، وقد كانت مصر هي قبلته وحلمه، لكن ظروف الاستعمار كانت تحول دون ذلك؛ إذ لا يمكن لأيّ جزائري أن يسافر خارج الجزائر، من دون أن يأخذ رخصة من السلطات الاستعمارية الفرنسية.

"**الأب**: تحايل إبراهيم فأخذ حجّة من زميلٍ له في الدّراسة، وغادر مدينة القرارة إلى مدينة بسكرة، ثم إلى مدينة قسنطينة، بواسطة الجمال، إلى أن وصل إلى تونس...".

الابن: قطع إبراهيم كلّ هذه المسافة بواسطة الجمال؟! هذه إرادةٌ وشجاعة كبيرة..." [22].

ركب الفتى إبراهيم بعد ذلك البحر إلى طرابلس(ليبيا)، وبقي فيها اثني عشر يوماً، ومنها استقلَّ باخرة إلى الإسكندرية بمصر، واستغرقت الرحلة إليها أسبوعاً كاملاً، وبالقطار وصل إلى القاهرة.

ولج الفتى إبراهيم مصر وكلّه أمل وطموح في أن يظفر بمقعدٍ في جامع الأزهر، لكن ذلك الحلم كان بعيد المنال إذ قوبل طلبه بالرفض، ومكث بها خمسة أيامٍ فقط، وسبب ذلك أنه كان يرجو الحصول على منحة دراسية من وكالة الجاموس الإباضية، والتي كانت تقدم فيما مضى مساعدات مالية للطلبة، لكنها أصبحت في تلك السنوات غير قادرة على ذلك، وما كانت تعيل به لا تكفي طالب العلم، وبالتالي فإنه لابد لمن أراد أن يقيم بمصر ويدرس بها أن يعتمد على نفسه أو على أهله فيمدّوه بالمال الكافي لذلك، والفتى إبراهيم سافر دون موافقة أهله وبالتالي لن يحصل على مساعدتهم.

"**الابن**: ماذا فعل إبراهيم؟ أحصل على شيءٍ يعينهُ على تحقيق أمله؟ وهو البقاء في القاهرة أم عاد إلى وطنه؟"(23)

غادر إبراهيم القاهرة آسفاً حزيناً، ليس إلى الجزائر بل إلى الحجاز ليؤدي فريضة الحج، وكله حسرة على ضياع فرصة الالتحاق بجامع الأزهر...، ودامت رحلته إلى نحو شهر ونصف، وكانت مشحونة بالأتعاب والأهوال، وطبعاً طموح الفتى إبراهيم كان وراء هذه المجازفة فالحجاز غير بعيد عن مصر ووسائل السفر إليه متاحة، فاغتنم الفرصة للحج ولقاء العلماء في مكة والمدينة المنوّرة، ولما وصل مكة قضا بها أياماً أصابه المرض فأقعده عن السفر إلى المدينة المنوّرة حتى شفي، وكان ذلك بعد ستّة وعشرين يوماً من الانتظار اغتنمها الفتى إبراهيم للتواصل مع علماء مكة آنئذ.

وسبب تأخير انطلاق القوافل من مكة إلى المدينة هو الانتظار قصد اجتماع القوافل لتأمين الطريق من قطاع الطرق واللصوص، فمكث إبراهيم ومن كان معه من رفاقه في الحج تلك المدة ينتظرون، فانقسمت القافلة إلى قسمين: قسم انطلق وقسم لحق به بعد ذلك، ووفي الطريق هجم اللصوص على القسم الأول من القافلة وقتلوا من كان فيها من الرجال وذبحوا الجِمال، وسرقوا الأمتعة...، وقد كان إبراهيم ضمن القسم الثاني فنجا من موت محقق، وأدرك ومن كان معه مكان الفاجعة ووجدوا الجثث مبعثرة والبطون مبقورة... وكان الجو بارداً والأمطار غزيرة، فقضى ليلة من أحلك الليالي(24).

وصل إبراهيم إلى المدينة المنورة وقد نفذ ماله، فاحتطب وجلس في السوق ليبيعه في حزم صغيرة، لكنه لم يفلح إذ جلست بجانبه نسوة يبعن الحطب أيضاً وبثمن زهيد، فلم يستطع بيع حزمة منه، ولم يكن الفتى ممن يفقدون الأمل بالله فقد سخّر الله له محسناً أقرضه ما يستطيع به العودة إلى وطنه.

"**الابن**: إذن رجع إبراهيم إلى الجزائر.

الأب: نعم عاد إلى الجزائر، لكن أتدري كيف رجع؟

الابن: لابد أن تكون المشقات والمشاكل قد اعترضته مثلما حدث له في الذهاب"(25).

سافر إلى الشام برّاً ومكث في دمشق ثلاثة أيام، ومنها إلى لبنان، بقي فيه خمسة أيام، حيث انتظر أياماً ليجد باخرة تقلّه إلى المغرب، ولم يجد إلا باخرة متجهة إلى إزمير في تركيا فركبها، ومن إزمير استقلّ باخرة عسكرية متجهة إلى طرابلس(ليبيا)، ووصل إليها بعد خمسة أيام من الإبحار في المتوسط، وفي رحلته نفذ ما عنده من النقود فاضطرّ مرة أخرى إلى الاقتراض من رفيق له في الرحلة، ولما نزل بطرابلس ركب مرة أخرى إلى صفاقس بتونس ومنها إلى تونس العاصمة.

وهنا عبر أخرى توقف عندها المؤلف في حوار بين الابن وأبيه.

"**الابن**: والله إنّي لأعجب من حال إبراهيم هذا! فكلّما وقع في ضائقة مالية، وجد الله يفتح له الأبواب..!!

الأب: السِّر في كل ذلك يرجع إلى الإخلاص والصِّدق، والتوكّل على الله.

الابن: حقّاً يا أبتِ، هذا درسٌ آخر نتعلّمه من إبراهيم الطموح المجتهد"[26].

وفي تونس بقي متحيّراًكيف يدخل إلى الجزائر، طبعاً لأن السلطات الاستعمارية الفرنسيةكانت قد منعت الحج على الجزائريين، وعقوبته السجن ودفع غرامات مالية باهضة.

وبكل ثقة اتصّل بأحد أصدقائه من تجار مدينة تبسّة فسوّى له وثائقه الجمركية واستطاع الدخول إلى أرض الوطن من جديد، ووصل تبسة ومنها سافر إلى القرارة.

"الابن: بماذا أحسّ وهو يعود إلى مسقط رأسه؟

الأب: أحسّ بحسرة وحزن كبيرين، لعدم تحقق أمله، وهو الدراسة في مصر، إلاّ أن هذا السفر إلى خارج الجزائر للتعلم ظلّ قائما، وبقي عزيمة في نفسه، حتى أتيحت له الفرصة مرّة أخرى فسافر إلى تونس.

وفي أثناء رجوعه من الحجاز وهو بتونس اغتنم فرصة وجوده هناك فالتحق بجامع الزيتونة وحضر بعض الدروس هناك، وحسبها إبراهيم قد عوّضت له بعض ما خسره في القاهرة"[27]، دامت رحلة الفتى إبراهيم حوالي عشرة أشهر.

ليذكر المؤلف صاحب هذه الرحلة في الأخير وهو الشيخ إبراهيم بن عيسى أبو اليقظان رائد الصحافة العربية الجزائرية.

بناء هذه الرحلة الشيّقة بهذا الأسلوب القصصي الحواري يساعد على تركيز مراحل الرحلة وأهم محطاتها في ذاكرة الطفل،كما أنه يكسر الرتابة (الروتين) أي رتابة السرد الطويل والذي يكون مملاً أحيانا، ويزيد من التشويق لأنه بانتهاءكل جملة يتوقع القارئ (المتلقّي) جوابا من المحاور الآخر وهذا يؤدي إلى مزيد من الإثارة والتشويق..

وهذه الرحلة تذكرنا أيضاً بشخصية فذّة أخرى ضربت أروع الأمثلة في الرحلة من أجل طلب العلم، وبذل الغالي والنفيس في سبيل التحصيل من المنابع الصافية، إنه الشيخ مُحَّد علي دبُّوز المؤرخ الجزائري الفاضل:

ولد مُحَّد علي دبُّوز في بريان من ولاية غرداية جنوب الجزائر سنة 1919م وبها توفي ودفن ــ رحمه الله ــ سنة 1981م، درس بمعهد الحياة العامر بالقرارة سنة 1934، ثم سافر إلى تونس سنة 1942 ليدرس بجامع الزيتونة، ولماكان ذا همّة عالية في طلب العلم، فقد شدّ الرحال في مغامرة خطيرة سنة 1944 بأن سافر إلى مصر ــ والحرب العالمية الثانية على أشدها ــ حيث اضطرّ إلى قطعها مشياً على قدميه فراراً من الإنجليز[28].

ولما نزل مصر رابط بدار الكتب المصرية قارئاً،كما التحق بجامعة القاهرة مستمعاً إذ لم يكن يملك الشهادة التي تخوّل له الالتحاق بها رسمياً، وكان له بدار الكتب المصريّة كرسيٌّ خاص به يُدعى "كرسي مُحَّد علي دبُّوز"، وقد امتدت إقامته بها أربع سنوات متّصلة، أفاد منها كثيرا، إذ تخصص في علم النفس والتربية، والتاريخ والأدب،

وتعرّف على أدباء مصريّين فصادقهم بإخلاص، ومنهم عطيّة الإبراشي، وأنور الجندي، والدكتور عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، وحضر محاضرات وندوات كثيرة(29)...

إنَّ رحلات من مثل رحلة الوارجلاني والقطب أطفيَّش ومحمد علي دبُّوز... تحمل من المحفزات التي تشجّع على الرحلة لطلب العلم، واقتناص الفوائد ببذل الغالي والنفسي في سبيل ذلك، وإذا عدنا لظروف كل رحلة في عصرها لقلنا بأنَّ رحلات أولئك الأعلام قد كانت فعلاً من باب المجازفة، ففي زمن الوارجلاني لم تكن السبل متيسّرة وأهوال الطرق مخيفة، ولكن ذلك لم يعجزه عن عقد ثلاث رحلات إلى الأندلس وغرب إفريقيا ثم الحجاز، أما رحلتي أبي اليقظان ومحمد علي دبُّوز فقد اكتنفهما الكثير من الأخطار والأهوال فعلاً، ورحلة القطب أطفيَّش تحمل من العبر والدروس ما يدعونا إلى إعادة صياغتها للأطفال، ويمكن للمربي أباً كان أو معلّماً أن يعيد صياغتها ورواية أبرز محطاتها بأسلوب الحكاية أي من خلال السرد، مع التلخيص، وبأسلوب التشويق، وقد يتّم التركيز فيها على بعض هذه الأفكار مباشرة ومنها: حبّ العلم والرغبة في الاستزادة منه، الاعتماد على النفس، التطلع للسفر والاستكشاف، ركوب الأخطار، الهمة العالية والعزيمة الصادقة، الصبر على الأذى في سبيل نيل المراد، وتسجيل مشاهدات الرحلة حتى تكون عبرة وذكرى للرحالة...

ولما كانت هذه الرحلات واقعية فإنَّ الهدف منها: تربوي وتحفيزي أساساً، كما يبرز القدوة الحسنة للأطفال، لذلك قد يتفاوت فيها عنصر التشويق، وهي لا تقارن بذلك مع رحلات السندباد البحري لما فيها من خيال خرافي مزوّر.

ثانيا: الاستكشاف

إن الحديث عن "الرحلات الاستكشافية" حديث شيّق وممتع، أمّا جذوره الأولى فمتعلقة بكل الكائنات الحية، وخاصة الإنسان والحيوان، فالإنسان بطبعه "فضوليّ" يتطلّع إلى المستور، ويحبُّ معرفة ما يدور حوله، وقديماً قيل: "أحبُّ الأشياء إلى الإنسان ما مُنعاً"، ورحلة الاستكشاف تبدأ من مرحلة الطفولة المبكرة بغريزة حب التطلع، ثم تنمو وتتطور مع نمو الطفل، ويهذبها الوالدان بتوجيه طفلهم إلى ما ينفعه ويمنعانه عن ما يضرّه، وفي المدرسة أيضا يوجه المربون هذه الغريزة الفطرية إلى ما ينمّي ثقافة الطفل ويعود عليه بالنفع.

ولو ذهبنا نعدد مجالات الاستكشاف ونستعرض "مغامرات" المستكشفين لطال بنا المقام، لذا سنقتصر على ذكر نماذج محليّة قصد التعريف بها لمن لا يعرفها، وتثمينها قصد ترقيتها والمحافظة عليها، خاصة وأنّنا نتحدث عن التراث كموروث حضاري كيف يمكن أن نستلهم منه ما يحفّز الناشئة على الاجتهاد في طلب العلم واتخاذ القدوة الحسنة.

1- استكشاف المعالم التاريخية بوادي ميزاب بمناسبة "عيد الزيارة"

عيد الزيارة أو الربيع أو الزهور، عيد يحتفل به المزابيون منذ قرون عديدة ولا يزال إلى اليوم، وكان فيما مضى يعقد في أول اثنين من شهر إبريل كل عام، ثم نُقل إلى الجمعة وإلى عطلة الربيع حتى لا يُحرم منه تلاميذ المدارس.

ويقول المؤرخ الشيخ الحاج أيوب القرادي ــرحمه اللهــ في ذلك: "...إنّ اختيار الربيع كان لأسباب زراعية، فالتّمر وهو أغلب ما يُغرس في وادي ميزاب على العموم، يكون أُبِّر والزرع قد بدأ يُسَبِّلُ[30]، وفواكه الصيف قد بدأت بَوَاكِيرُها، وكل الأشجار تتفتح براعمها، فلكل ذلك رأى المسلمون أنه من واجبهم أن يخرجوا إلى الله مبتهلين داعين ليحفظ مزروعاتهم ويبلغها حتى توتي أُكلها ويَحفظها من الجوائح والآفات"[31].

ويبدأ برنامج ذلك اليوم المميز للأطفال باكراً بصلاة الاستسقاء وطلب الغيث النافع، وبعدها يتوزعون على أفواج بحسب صفوفهم الدراسية في مدارسهم القرآنية، ويتقدم كل مجموعة أحد "العزّابة"[32] أو كبار "إروان" أو المعلمين يؤطّرون المشاركين ويفتتحون مجلس الذكر الحكيم وهم يمشون، ويدعون في كلّ مشهدٍ أو مزارٍ ترحّماً على الأجداد، ويحكون للتلاميذ للعبرة والذكرى شيئاً من تاريخ كل عالم أو مُصلحٍ يقفون عند مزاره، وتنطلق كل الأفواج في وقت واحدٍ مِن مُصلّى صلاة الاستسقاء، في انتظام وسيراً على الأقدام، يرددون هذا الدعاء: "بسم الله يا الله يا رحمن" و"يا رحيم يا الله وارحمنا" المسيّرون يُنادون به أولاً ثم يردد الأولاد..."[33].

تنقسم أفواج التلاميذ كالآتي: أقسام التحضيري والأولى ابتدائي يتوجهون إلى مزار "الشيخ عمي زكري" وقد كان مؤذناً بمسجد بني يزجن، اغتاله قُطّاع طرقٍ هو وابنه في ذلك المكان، ولما وصل وقت الآذان، لم يحضر للمسجد فأذّن بُرنسه مكانه في صومعة الجامع، فعرف الناس أنَّ مكروهاً قد حلَّ به، فخرجوا يبحثان عنهما، وظلَّ بُرنسه يؤذن من أعلى الصومعة في كلِّ صلاة إلى أن عثر عليه ودُفن هو وابنه.

أمَّا تلاميذ السنوات الثانية والثالثة والرابعة فيقصدون واحة "ضَايَةْ مْزَابْ"، وهي من الواحات الأولى بتجنينت(العطف) تصبّ فيها شعاب كثيرة تسمى باسمها، هنالك يشاهدون كفاح الأجداد في حفر الآبار قديماً وحفر الأخاديد في الجبال لتنظيم جريان ماء السيول إلى بساتينهم نظراً لأهمية الماء وقيمته...، ومن الصفّ الخامس إلى أقسام القرآن فيذهبون باتجاه الواحات القديمة "الجَاوَة" و"أوْلاَوَالْ" و"أحْبَاسْ"، وصولاً إلى "سد أحباس" العريق، هنالك تقام ختمة القرآن الكريم...

وبعد العودة من زيارة تلك المشاهد البعيدة، يتجمع تلاميذ المحاضر القرآنية في مقام الشيخ أبي عبد الله مُحَمَّد بن بكر[34] وليس فيه مقبرة ولا قبر ولكنه مصلى فسيح، "وفي انتظار التجمّع يسأل أحد معلمي القرآن التلاميذ عن رسم القرآن... إلى غير ذلك من الآيات التي تشابه في القرآن والفروق التي قد تكون بينها، وكل تلميذ يُسأل وحده ولكن بمحضر إخوانه ومعلميه، وقد كان هذا الامتحان يخول درجة من الدرجات مثل أن يكون له الحق في حضور "مجلس القرآن في المسجد"، ... ثم يذهبون مع أحد المشايخ لتتبع جميع المقابر، وكلما وقفوا على قبرٍ ذكروا صاحب هذا المقام ونبذة تاريخية والكرامة التي تُحفظ عنه إن كانت له كرامة تذكر،

والكلام في المرة موجه إلى الطلبة بوجه خاص ليحفظوا تاريخ المشايخ..." [35]، ونفس التنظيم تشهده كل قصور وادي ميزاب دون استثناء إلى وارجلان (200كم جنوباً).

ما الذي يستفيده الأطفال في ختام تلك الرحلة الاستكشافية ؟

لن يشكّك أحد في أنَّ فوائد تلك الرحلة الاستكشافية كثيرة وعديدة، ولا أدلّ على ذلك ما يقوم به الأطفال من تحرير مواضيع الإنشاء والتعبير الكتابي حولها، إذ يبقى التلاميذ يتبارون فيها برغبتهم ويتناولون موضوعها شهوراً عديدةً بعد ذلك، بل يظلون في شوقٍ متجددٍ إليها يتسامرون حولها إلى أن يحين موعدها مرة أخرى، ومن فوائدها أيضاً:

- يتعرف الأطفال على حدود بلدتهم لأنَّ تلك المزارات تشكّل في مجموعها حلقةً تكاد تُقيم دورة كاملة على البلدة.
- يتعرفون على تاريخ أجدادهم وعلماء بلدتهم وعلى المصلحين والمجاهدين...
- يقضون أوقاتاً طيبة مع أصدقائهم في كنفِ أساتذتهم ومُربّيهم وأوليائهم.

* مصلى الشيخ باعبد الله بن يحي بالعطف، من الأماكن التي تقصد يوم "الزيارة" للدعاء والذكرى، ويمتاز المصلى بهندسته المعمارية البديعة، وحوله قبور علماء ومشايخ كثيرين.

* مصلى الشيخ أَمِّي إبراهيم بن منَّاد الزَّناتِي من العلماء البارزين المصلحين، عاش في القرن السابع الهجري، وأقام نهضة علمية كبرى حتى قصده الطلبة من مختلف المشارب يقرؤون عنده...

2- الرحلات الكشفية:

المدرسة الكشفية في ميزاب مدرسة عتيدة وعريقة، إذ تعدّ شريكة المدارس التربوية والإصلاحية في تأطير الأشبال خلال أوقات فراغهم وفي العطل الأسبوعية والفصلية، ولن نلج هنا إلى تاريخ الحركة الكشافة في وادي ميزاب، بل سنتعرض إلى أبرز نشاطات بعض الأفواج فيما يتعلق بموضوعنا وهو: كيف يتمّ توجيه

"الكشّافين" الناشئين إلى استغلال أوقات فراغهم بما يعود عليهم بالنفع والفائدة ؟ وما هي النماذج التي تتجلى فيها فوائد الرحلة الاستكشافية وتسهم في تنمية ثقافة النشء من خلال ربطهم بتراثهم التاريخي والحضاري ؟

درجت "أفواج الحياة" التابعة للكشافة الإسلامية الجزائرية بالقرارة، غرداية، الجزائر، إلى وضع برنامج لزيارة بعض مؤسساتها العرفية والاجتماعية، يقوم بها "الطلائع"، وفيها يجلس الناشئة إلى مسيرّي تلك المؤسسات، ويقتربون من المشايخ والأعيان لأخذ تجربتهم في الحياة، وتسجيل ماضيهم وما يحفظونه عن الأجداد، وذلك في زيارات أسموها "لقاء الخلف بالسلف"(36)، أو تعريف الخلف بما شيّده السلف، وأول لقاء بدأته "طليعة النسور"، كان بزيارة الشيخ بالحاج بكير بن مُحَمَّد (باشعادل) بصفته رئيس "حلقة العزّابة" لبلدة القرارة، وذلك يوم الثلاثاء 01 ربيع الأول 1433هـ /24 يناير 2012م، وقد استقبلهم في بيته وقدم لهم ـحسب الوقت ومدارك الكشّافين_ نبذة عن حياته ونشاطه الاجتماعي، كما أجاب عن تساؤلاتهم حول: حلقة العزّابة، ونشأتها، ومهامها، وعدد أعضائها(37)...

أما اللقاء الثاني فقد بادرت إليه فرقة الكشاف الأول (أ) ممثلة في "طليعة الفهد"، والتي التقت مع الشيخ العُنق الناصر بن بالحاج، وهو عضو "حلقة العزّابة" ببلدة القرارة، ومؤذن جامعها العتيق، وهو أيضاً رئيس "عشيرة آل بولحية"، ومن القادة القدماء في أفواج الحياة، فسألته الطليعة بصفته
رئيساً لعشيرته عن نظام العشيرة ونشاطها وأهميتها وهيكلتها..، وقد استفاد الكشّافين كثيراً من هذا البرنامج الممتع والميداني(38).

مما يستفاد من مثل هذه الرحلات الاستكشافية أيضاً: التعرّف على المؤسسات الاجتماعية والهيئات العُرفية، ومعرفة تاريخهم وما يربطهم بهويتهم، ويغني وجدانهم الحضاري، وينمّي رصيدهم الفكري والثقافي. وقد كُلّف الكشّافين بتسجيل ما يسمعونه من معلومات وتلخيصها لاحقاً ليفيد منها بقية زملائهم في الطلائع الأخرى، ولا شكّ أن إعداد الملخصات يعوّد على التحرير الأدبي، تماماً كما تغرس تلك اللقاءات الشجاعة الأدبية.

بالإضافة إلى ما ذكرنا من تنظيم الزيارات الاستكشافية للتعرّف على الأعلام والمؤسسات والهيئات الاجتماعية، درجت أفواج الكشافة في القرارة وقرى ميزاب باستمرار، إلى تنظيم رحلات سياحة واستجمام داخل الوطن وخارجه، وبخاصة إلى الشواطئ الجزائرية صيفاً حيث البحر حيث تقام المخيمات الكشفية، أو تنظيم رحلات استكشافية في عطلة الأسبوع إلى المناطق المحيطة بالقرارة، وفي هذه الرحلات يستفيد الكشّافين وينمّون مواهبهم ورصيدهم الفكري والمعرفي.

على سبيل المثال: قامت فرقة "الكشاف المتقدم الثاني" برحلة تكوينية من يوم 04 نوفمبر إلى يوم 05 نوفمبر 2011 وذلك بتتبع مجرى "واد زَڨرِيرْ"[39] (وهو أشهر الواديان التي تغذي القرارة بمياه الأمطار)، تحت قيادة العنق جابر بن إبراهيم وخرفي الحاج يوسف بن أحمد وأبو بكر أيوب بن الحاج ومن فقرات برنامج الرحلة:

* السير على الأقدام من "زَڨرِيرْ" إلى "غار مسعود" والمبيت بوسط الغار، ثم مواصلة السير من الغار إلى القرارة عودة، وذلك عبر "الطريق القديم" الذي يربط القرارة بمدينة غرداية.

* دراسات تكوينية في مختلف المجالات الكشفية.

* أمسية وسهرة كشفية لاكتشاف مواهب الأعضاء وتنميتها.

صورة تذكارية للكشّافين وهم أمام "غار مسعود" بالقرارة[40]

هذا عن بعض نشاطات "أفواج الحياة" بالقرارة، أما بالنسبة "لفوج النهضة"[41] بالعطف، فهو ينظم أيضاً للكشّافين رحلات استكشافية إلى المعالم الأثرية السياحة القريبة والبعيدة عن البلدة، منها إلى:

- القرى الأثرية المندثرة: "أَغَرْمْ نْ تَلَزضِيتْ"، "أَغَرْمْ نْ أُوخِيرَة" بالعطف، وإلى آثار "سَدْرَاتَه" بوارجلان...
- أنظمة تقسيم المياه الأمطار قديماً: "ضاية مزاب"، "وادي سعيد"، "سد أحباس"، "تِيلُولَتْ"...
- مرتفعات "لَصْبَابْ"، و"تِزُوَّاغِينْ"، ومغارتي "أغزُو نْ فِيغَرْ" و"أَغزُو نُ لُوسْ"...

ومثل هذه الرحلات الاستكشافية يمكن أن يستفيد منها جميع الفئات تقريباً، كذوي الاحتياجات الخاصة أو المنتسبين إلى رياض الأطفال، إذ يخرجون في نزهات مع طاقمهم التربوي إلى بساتين النخيل في الواحة وعند مربي الأبقار والإبل...

وحاصل الأمر أنَّ الرحلة الاستكشافية تنمّي بالفعل مدارك الناشئة، خاصة إذا عرفنا أنَّ أجيالاً تخرجت من المدرسة الكشفية انطلقت لطلب العلم والاستزادة من الآفاق البعيدة في المشرق العربي وشرق آسيا كماليزيا وروسيا وغيرها..

5- أنماط أخرى للرحلة الاستكشافية:

تأخذ الرحلة الاستكشافية أنماطاً متعددةً أخرى، تسهم وتنمّي الرصيد المعرفي والثقافي للناشئة منها: زيارة المتاحف الأثرية والتاريخية والمتاحف الطبيعية...، واستكشاف تاريخ مدينتهم من خلال الوثائق والبيانات والصور، زيارة ميدانية لمواقع معارك جيش التحرير الوطني وإبراز دروس التاريخ في صدّ الاستعمار، واصطحاب أحد المجاهدين القدماء للتعرف على تاريخ النضال الشعبي ضد الاستعمار، زيارة بعض المصانع في المنطقة الصناعية للتعرّف على إسهامات أبناء المنطقة في الاقتصاد الوطني، إقامة حملات تشجير في حدائق المدارس والأحياء والشوارع، إقامة حملة للتعرف والتعريف بمعالم الولاية أو القطر الوطني من خلال عقد رحلات منظمة، إقامة رحلات توعية مختلفة المواضيع وحسب رزنامة العطل، كالتعريف بحقوق الطفل في يومهم العالمي أو باليوم العالمي للبيئة أو للمعاقين...، وذلك بعقد رحلات لذات الغرض إلى مديرية الغابات، ومديرية الحماية الاجتماعية، وأقسام الطفولة بالمستشفيات، وتوزيع مطويات تعريفية وتحسيسية بالمناسبة...

وحتى تقع الفائدة المرجوّة من تلك الرحلات الاستكشافية، فإنّ الكثير من المنظّمين يحرصون مع الأطفال المشاركين على أهمية تسجيل ما يشاهدونه أو يستمعون إليه من ملاحظات وفوائد معرفية متنوعة والتي تقدّم لهم في عين المكان حتى يقيّدوها في دفاترهم ولا تنسى أو يصعب تذكرها فيما بعد.

وقد يكلفونهم بتسجيل رؤوس الأقلام وإعداد تقارير مفصلّة لاحقاً، لتقرأ على زملائهم في المدرسة أو تعلق في لوائح حائطية بالمدرسة أو بمقر الكشّافة أو الجمعية.. ليطلع عليها بقية زملائهم ومسؤولي الجمعية أو الخلية الكشفية والأولياء..

6- نقد وتحليل:

يمكن لأدب الأطفال أن يدعم بقوة تربية الأطفال التربية الروحية الصحيحة، والتي تدعم بدورها بناء شخصية الفرد السوي

الذي يتّسم بالصفات التي تدعم الفكر والابتكار والإبداع، فهو الإنسان القارئ، والمفكر والمتأمل، والعامل الجاد، والصابر المثابر، والمدقق الذي يتقن عمله، والذي يطلب العلم طوال الحياة، والذي يعيد النظر في أفكاره وأعماله بهدف تقييمها وتطويرها، والذي يهتم بشؤون مجتمعه ومشكلاته، والذي تتسم تصرفاته بالموضوعية بعيداً عن الأهواء الشخصية، وهناك سبعة أسباب توضح لنا أهمية أن يكتب الأطفال القصص، وهي:

1- للمتعة.

2- لتقوية التعبير الفني.

3- للكشف عن قيمة ووظائف الكتابة.

4- إثارة الخيال.

5- تنقية التفكير.

6- البحث عن الهوية.

7- لتعلم القراءة والكتابة (42).

لذا يستحسن تشجيع الأطفال على الكتابة لأنفسهم حتى تقوى شخصيتهم وملكتهم اللغوية منذ نعومة أظفارهم.

وبالنسبة للقيم السلوكية وما يتعلق منها بموضوعنا فلابد من الحث على احترام ثقافة المجتمع وقيمه وعاداته، لأنَّ الشعوب تُورّث ثقافتها وممارسة عاداتها الاجتماعية، بما ينعكس على نواحي عدة من حياة الفرد اليومية، وفي تربية الأبناء يكمن التركيز على استلهام القيم السّلوكية التي امتاز بها السلف الصالح، وعلى سبيل المثال: ما عرف به الأجداد من الحكمة في فض النزاعات التي تقوم بين الناس بالتحكيم والتوفيق (43).

وقد يأخذ الحديث عن أدب الرحلة منحى الاستكشاف واستنطاق التاريخ، فقد كان سليمان العيسى يأخذ الأطفال في رحلات أدبية لاستكشاف التاريخ أشخاصاً وأماكن، في قوالب متنوعة أي في مجموعات شعرية، ومسرحيات وحواريات وتمثيليات مسرحية وحكايات..، ومن نصوصه التراثية مثلاً: "الأطفال يزورون تدمر" (عن زنوبيا وتدمر)(44)، فهذه الرحلة التاريخية لاشك أنها ستشوّق الأطفال لزيارة تلك المدينة التاريخية الحاضرة بآثارها..

وعلى نفس المنوال يمكن أن نستنطق مدناً جزائرية عديدة قديمة وحديثة كـ"تِيمقَادْ" بباتنة و"جميلة" بسطيف، و"قلعة بني حماد" بالمسيلة، و"تَاقْدَمْتْ" في تيهرت، و"بوسمغون" في البيّض، و"سَدْرَاتَه" في وارجلان... إلخ، وجميعها حواضر تاريخية مهمة، يمكن أن نقدّمها في قالب أدبي استكشافي، يجري فيها الحوار بين طفلٍ وعائدٍ من تلك المواقع، معتمداً أسلوب التشويق في سرد التاريخ وذِكر الأعلام والأماكن واستنباط العبر والدروس...

كما يمكن تقديم رحلات العلماء الجزائريين إلى الجوامع الكبرى: كالزيتونة بتونس والقرويين بفاس والأزهر بمصر، والحرمين الشريفين بالحجاز... في أسلوب قصصي مشوّق، يخدم رسالة التحفيز على طلب

العلم، ومن ذلك مثلاً: العودة إلى مذكرات شابٍ رحل إلى تلك الجوامع التي كانت منارات للعلم والمعرفة، وعاد وقد صار أديباً أو شيخاً أو مفكراً... وهو يحكي ويستذكر طريق رحلته ومشواره الدراسي وكيف تدرّج فيه...، وإذا عرفنا بأنَّ هذا الأمر ليس غريباً عن المجتمع الجزائري، إذ رحل الكثير من الشباب في زمن الاستعمار الفرنسي لمزاولة تعليمهم في تلك الحواضر الكبرى، لما حرمهم المستعمر من التعليم وشدد على المثقفين الخناق، فلم يجدوا بُدّا من الرحيل إلى المشرق العربي لطلب العلم النافع...، وفي كتاب "نهضة الجزائر الحديثة" للمؤرخ الجزائري محمد علي دبوز الأمثلة الكثيرة المفصلة عن ذلك، ومثله أيضاً في موسوعة تاريخ الجزائر الثقافي" للدكتور أبو القاسم سعد الله، وهو يجمع بين طيّاته سيراً معتبرة عن "الرحّالة" الذين بروزا هنا وهناك وعرّفوا بتاريخ الجزائر وبالثقافة الجزائرية آنذاك، خاصة إذا عرفنا بأنّ كثيراً من طلبة العلم الجزائريين آنذاك سجلوا رحلاتهم وملاحظاتهم ويومياتهم بما يفيد أدب الرحلة، لذا يمكن الاستعانة بها في إنشاء قصص مشوقة ومؤثّرة للأطفال.

أما الرحلة الاستكشافية:

فبالرغم من تطبيقاتها الميدانية المتنوعة، إلاَّ أنَّ تنظيمها الجماعي هو الغالب بما له وما عليه، فاستكشاف المعالم التاريخية بوادي ميزاب خلال "عيد الزيارة" كل عام على سبيل المثال، قد يُفيد كثيراً الأطفال ممن يهتمون ومن هم في مقدّمة الرّكب، لأنَّ المعلومات التي تقدّم لهم أثناء زيارة المشاهد المختلفة قد تكون مبسّطة ومُقتضبة جدّاً من جهة، وقد لا تصل إلى آذان الجميع لكثرة المشاركين وصعوبة ضبط حركة الأطفال وانتباههم طول الوقت من جهة ثانية.

كما تفتقد تلك المعالم والمزارات إلى لوحات تعريفية، قد يتيح وجودها هناك أن يسجّل الأطفال ما عليها من المعلومات في دفاترهم وكنّاشاتهم خاصة وأنه يصعب عليهم ضبط الأسماء عند سماعها لأوّل مرّة، ووجودها أيضاً يشجّع الكثيرين منهم على كتابة تقارير رحلتهم وتقديمها أمام زملائهم التلاميذ.

أيضاً، قد يلاحظ نُقص التشويق والدعاية للرحلة الاستكشافية من الناحية الأدبية، أي الدّعوة إلى تسجيل الملاحظات والتقارير، والتركيز أكثر شيء على التحضير المادي من عُدّةٍ وأكلٍ وشُربٍ..

لهذا يستحسن أن يصوّر المربي الرّحلة قبل انعقادها بالتشويق والتّحفيز، كأن يصوّر قصة "رحلة إلى حديقة الحيوانات" مثلاً في القسم قبيل زيارة حديقة الحيوانات، وذلك بتمثيل حوار بين الطفل والحيوانات التي يشاهدها هنالك، فيسأل الحيوانات الأليفة عن أسمائها وعائلتها ومنافعها...، ونفس الشيء يفعله مع الحيوانات المتوحشة، ويفضّل في ذلك "أسلوب الحوار" أو "الإلغاز"...، وفي الأسلوب الثاني أي الإلغاز يكون إعمال الفكر وتنشيط الذاكرة عن طريق عنصر التشويق في تعريف كل حيوان بنفسه، ويُحبذ أن يبرز راوي القصة الانفعالات عن طريق خفض ورفع صوتهُ والتركيز على السجع أثناء القراءة، وكذا التأكيد على حسن معاملة الحيوان، وعلى أهمية معرفة الحيوانات الأليفة ومنافعها، وفي هذا درسٌ للصداقة والثقة بين الصديقين، أو

أهمية الصداقة، والرّفق بالحيوان ..إلخ، وفي مرحلةٍ ثانيةٍ يمكن أن نطلب من الطفل رسم صور موافقة للقصة كالحيوانات المذكورة فيها مثلاً.

وسيكون من فوائد هذه الرحلة:

- تدريب الطفل على الاستفادة أكثر من وقت الرحلة، وتسجيل أكبر عدد ممكنٍ من الملاحظات.
- تنمية المهارات الإبداعية لدى الطفل عن طريق محاولة رسم الحيوانات التي شاهدها في رحلته.
- تنمية الخيال الإبداعي لديه عن طريق تخيل أنّ الحيوانات وتتكلم وتعبر عن نفسها، بأن نطلب منه عقد حوارٍ بينها.
- تدريب الطفل على استخدام اللغة العربية الفصحى، وإكسابه بعض المرادفات الجديدة في كل مرّة.

والإشكال الجديد هو استعمال الأطفال في رحلاتهم آلات التصوير الفوتوغرافية والكاميرات الرقمية...، فبعد عودتهم من الرحلة يحمّلون تلك الصور على مدوناتهم في الانترنيت وعلى الفيسبوك (facebook)، كما يحمّل بعضهم مقاطع الفيديو ويعرضها على مواقع الإنترنيت وأشهرها اليوتيوب (youtube)، سعياً منه لتكون في متناول أكبر عدد ممكن من الأصدقاء والمعجبين والمهتمين، وأن يعلّق عليها المدوّنون بعد مشاهدتها، وقد تُنقل من صفحة إلى أخرى..

وقد أفقدت هذه التّقنية "أدب الرحلة" رونقه وبهجته، وتراجع معها إعداد الملخصات والتقارير من طرف الأطفال، وبالتالي ضعف عند الكثيرين منهم التحرير الأدبي، وفُقِد الحماس والشجاعة الأدبية الذين كانا معهودين في الرحلات.

وقد يطرح النشر الإلكتروني العشوائي وغير المحمي إشكاليات أخرى أخطر وخاصة منها: الولوج إلى الخصوصية والتعليق على الصور والفيديوهات بدون رقابة أو استئذان، وهذا قد يتسبب في نتائج عكسية وغير مُرضية لصاحب الصفحة، بالإضافة إلى الإفراط في استخدام اللهجات المحكية العامية والابتعاد عن استخدام اللغة العربية الفصحى، وخاصة أثناء التعليق على الصور أو الإدراجات، وفي الرد على التعليقات التي ترد تحت الصور المنشورة مِن قِبل الزّوار...

وهذا موضوع بحثٍ آخر، إلاّ أننا نشير إلى خطورته هنا، نظراً لتعلّقه ببحثنا في بعض جوانبه ولنا إليه عودة مستقبلاً.

7- خاتمة وتوصيات

لقد أدركنا مكانة العلماء، بعد أن شرّفهم ربُّ العزّة، وعرّفنا بهم رسول الرحمة ﷺ القائل: "العلماء ورثة الأنبياء"، وأنَّ "من سلك طريقاً يلتمس به علماً سهل الله به طريقاً إلى الجنة"...، لذا تعلّمنا وأخذنا بأسبابه وحفّزنا أبنائنا على طلبه في حلِّهم وترحالهم، لأنَّ به صلاح أمرهم وأمتهم، وبه يعمّ الخير وتعمر الأوطان...

وفي سياق الحديث عن التربية وتكوين الناشئة وتحفيزهم على طلب العلم النافع لابد من تقديم القدوة

الحسنة لهم، لهذا نجد التراث أقدر على المخاطبة من المصادر المبتدعة التي قد تحتاج إلى هامشٍ مضاعفٍ من التربية أو التثقيف لكي يكون بمقدور المتلقي ـولاسيما الطفلـ أن يتفاعل معها، والثقافة المحلية والأصيلة تيسِّر سبل الاتصال بالتراث.

وفي آثار السلف من العلماء الأعلام ـوهُم مظان القدوة الحسنةـ نجد النماذج الموفقة العديدة، وهم الذين أدركوا أهميّة الرحلة في طلب العلم، فانطلقوا إليها يَصِلون الليل بالنهار ويقطعون الفيافي الخالية والصحاري الموحشة والبحار الصعبة...، حتى حصلوا من رحلاتهم تلك الخير العميم، وخلدّوا مآثرهم في صفحات التاريخ بما ألّفوا ودوَّنوا.

وقد أشرنا إلى نماذج الوارجلاني والقُطب أطفيَّش ومُحَّد علي دبوز، كأمثلة لرحلات واقعية لطلب العلم، يمكن إعادة تقديمها للأطفال في قالب قصصيٍّ مشوّقٍ، ولنا في نموذج "إبراهيم والرحلة في طلب العلم" أفضل دليلٍ يُحتذىَ.

وبالنسبة لرحلات الاستكشاف وإن كان المراد من بعضها الترفيه فإنَّ ذلك لا يُنقص مِن قيمتها وأهميتها في تكوين الناشئة وتوسيع مداركهم وتنمية ثقافتهم...، وقد اخترنا بعض النماذج المحلية في سبيل التعريف بها من جهة وتثمينها من أجل المحافظة عليها لكونها جزءاً من الذاكرة الذي يشترك فيها الجميع، ويمكن أن نوجز أهم التوصيات العملية فيما يأتي:

أولاً: بالنسبة لأدب الرحلة

1- إدراج أدب الرحلة في المقررات الدراسية للناشئة وإبرازه بما يخدم آفاق طلب العلم ولقاء العلماء في الآفاق البعيدة.

2- تقريب الرحلات التراثية للأطفال، وتبسيطها للناشئة حسب فئاتهم العمرية ومداركهم العقلية.

3- اختيار مجموعات من نصوص الرحلة وإخراجها في قالبٍ مسرحيٍّ مشوق وهادف للأطفال.

4- طبع ونشر تقارير "الرحلة" التي يعدّها التلاميذ في مجلات الطفولة أو ضمن مجلة المدرسة أو الفوج الكشفي.

5- رصد جوائز تشجيعية تُعنى بأدب الرحلة للأطفال، لغرض تحفيزهم على تسجيل رحلاتهم الاستكشافية، ويومياتهم، وتقاريرهم الأدبية..، وذلك من خلال تنظيم مسابقةٍ سنويةٍ خاصة بهذا النوع من الأدب للأطفال، ولتكن على منوال "جائزة ابن بطوطة للأدب الجغرافي" وهي جائزة سنوية تمنحها دار السويدي بأبو ظبي بالإمارات، لأفضل الأعمال المتعلقة بأدب الرحلة واليوميات والرحلة الصحفية[45]...

ثانياً: بالنسبة للرحلة الاستكشافية

1- التّأكيد على التنظيم الجيّد والمحكم للرحلات الاستكشافية لتحقيق أفضل الغايات والأهداف.

2- تحفيز وتشجيع الكشَّافين الصغار على المغامرة وحب استكشاف الطبيعة والمحيط.

3- تنمية خيال الطفل وتعويده التربية الجمالية والفنية بأيسر السبل وأكثرها فاعلية في وجدانه، بإبعاد كل ما من شأنه أن يهدد خياله واتصاله بينابيع ثقافته الشعبية، كهيمنة وسائل الاتصال عليه وهو ما أثّر سلباً على أسلوبهم ولغتهم الكتابية والخطابية، ولاسيما هيمنة التلفاز بكثرة قنواته الفضائية، وكذا الشبكة المعلوماتية..

4- دعوة الأطفال المنخرطين في الجمعيات والأفواج الكشفية والنوادي الرياضية، إلى مراجعة ألبومات صورهم التي قاموا بعرضها سابقاً في مدوناتهم أو صفحاتهم الالكترونية، وذلك من أجل وضع تقارير أدبية تحتها بما يفيد تفاصيل الرحلة كالمكان والزمان..، أو ووضعها ضمن تقارير أدبية مطبوعة وتعليقها في فضاء المؤسسات التي ينتسبون إليها.

5- وضع رزنامة سنوية للرحلات المدرسية والكشفية... وإشراك الأولياء والمربين في تنظيمها، مع تأكيد الالتزام الفعلي بتشجيع الأطفال خلال تلك الرحلات على كتابة ملاحظاتهم وتطويرها إلى تقارير أدبية، تطبع وتوزع على التلاميذ في الصَّف أو تُنشر ضمن مجلة المدرسة أو الفوج الكشفي.

6- وضع الإشارات واللوحات التعريفية الموضّحة أمام المعالم الأثرية والتاريخية وذلك في سبيل تشجيع الناشئة على تسجيل ملاحظاتهم عند زيارتها، بما يحفزهم أكثر على إعداد ملخصاتهم وتقاريرهم الأدبية عن رحلاتهم الاستكشافية.

7- تثمين التربية الجمالية والفنية، وتكوين المواقف الإيجابية إزاء حماية البيئة في الأطفال، حتى إذا عقد بعضهم رحلة استكشافية احترموا البيئة وساهموا في المحافظة عليها.

الهوامش والإحالات

1- هذه الأبيات في ديوان الشافعي، ص49؛ وتنسب أيضاً للإمام علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه.

2- سورة آل عمران، الآية: 18.

3- الجامع لأحكام القرآن 41/4.

4- سورة المجادلة، الآية: 11.

5- فتح القدير 232/5.

6- سورة الزمر، الآية: 9.

7- من حديث رواه أحمد والترمذي.

8- الإحياء 16/11.

9- رواه أحمد وابن حبان.

10- رواه أحمد وابن ماجه.

11- عبد الله أبو هيف، التنمية الثقافية للطفل العربي، التنمية الثقافية للطفل العربي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001، ص78.

12- زايد علي عشري، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان طرابلس، ط1، 1978.

13- آيكة هولتكرانس، قاموس مصطلحات الأثنولوجيا والفولكلور، دار المعارف القاهرة، ط2، 1983، ص88-91.

14- جبرا، جبرا إبراهيم، الرحلة الثامنة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1979، ص40.

15 – عبد الله أبو هيف، التنمية الثقافية للطفل العربي، التنمية الثقافية للطفل العربي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001، ص84.

16 – الدرجيني، طبقات المشائخ، تحقيق إبراهيم طلاي، دار البعث قسنطينة، ط1، 1970، ج2، ص491.

17 – معجم أعلام الإباضية، مجموعة من الباحثين، نشر جمعية التراث غرداية الجزائر، المطبعة العربية غرداية، ط1، 1999، ج4 ص 1011.

18 – ينظر: الدَّرجيني، طبقات المشائخ بالمغرب، ج2 ص495.

19 – حمو عيسى النوري، نبذة من تاريخ المزابيين، مطبعة البعث، قسنطينة – الجزائر، ط2، 1992، ج1، ص326.

20 – يحي بن بهون حاج امحَّد، رحلة القطب، العالمية للخدمات الطباعية، الجزائر، ط1، 2007.

21 – محمَّد بن قاسم ناصر بوحجام، إبراهيم والرحلة في طلب العلم، شركة الأنوار للاستيراد والتصدير للنشر والتوزيع، الجزائر، ص02.

22 – نفسه، ص04.

23 – نفسه، ص06.

24 – إبراهيم والرحلة في طلب العلم، ص10.

25 – نفسه، ص11.

26 – نفسه، ص12.

27 – إبراهيم والرحلة في طلب العلم، ص14.

28 – محمَّد صالح ناصر، مشائخي كما عرفتهم، (الشيخ محمَّد علي دبُّوز)، دار الريام، الجزائر، ط1، 2088، ص176.

29 – نفسه، ص176.

30 - أي: تستقيم سنابل القمح.

31 – إبراهيم بن يحي القرادي، رسالة في بعض أعراف وعادات وادي مزاب، تح: يحي بن بهون حاج امحَّد، العالمية للطباعة، الجزائر، ط1، 2009، ص136.

32 – هي الهيئة الدينية العُرفية التي تشرف على إمامة النّاس في الصلاة بالمساجد، وعلى التّدريس والوعظ والإفتاء، وتنظيم الأوقاف.. وتنظيم الشؤون المجتمع كالزواج والطلاق وفض النزاعات.. وتوجد هذه الهيئة في كل قصور وادي ميزاب دون استثناء وما يزال نظامها معمولاً به إلى تاريخ اليوم... و"إروان": هم الطلبة؛ هيئة دون العزَّابة في الترتيب...، ينظر بتفصيل: العزّابة ودورهم في المجتمع المزابي، صالح سماوي، المطبعة العربية، غرداية الجزائر، ط1، 2005، كله.

33 – إبراهيم بن يحي القرادي، رسالة في بعض أعراف وعادات وادي مزاب، ص137.

34 - هو الشيخ أبي عبد محمَّد بن بكر الفرسطائي، أصله من فُرسطاء بجبل نفوسة في ليبيا، وهو واضع نظام العزَّابة سنة 409هـ، كان يأتي إلى ميزاب مرّة كل عام ويمضي فصل الربيع فيه يدرّس العلم في روضته الموجودة إلى اليوم في وسط الوادي بتَجْنِينْتْ، ينظر: العزابة ودورهم في المجتمع المزابي، كلّه.

35 – إبراهيم بن يحي القرادي، رسالة في بعض أعراف وعادات وادي مزاب، ص139.

36 – http://jawalsma.maktoobblog.com/1558427# لقاء-الخلف-بالسلف/comment-747

37 – نفسه، موقع: أفواج الحياة القرارة، الكشافة الإسلامية، لجنة الإعلام، صفحة: لقاء-الخلف-بالسلف.

38 – نفسه، موقع: أفواج الحياة القرارة، الكشافة الإسلامية، لجنة الإعلام، صفحة: لقاء-الخلف-بالسلف2.

39 – نفسه، موقع: أفواج الحياة القرارة، الكشافة الإسلامية، لجنة الإعلام، صفحة: رحلة-الكشاف-المتقدم-الثاني.

40 – نفسه، صفحة: رحلة-الكشاف-المتقدم-الثاني.

41 – http://nahdasma.maktoobblog.com/ وحدة-الكشاف/79/.

42 – سناء العطّاري، أدب الأطفال والتربية الإبداعية، مجلة رؤى، غزة – فلسطين، العدد 16، 2005، ص77.

43 – محمَّد السيد حلاوة، الأدب القصصي للطفل، مؤسسة حورس الدولية، الإسكندرية – مصر، 1999، ص126.

44 – عبد الله أبو هيف، التنمية الثقافية للطفل العربي، التنمية الثقافية للطفل العربي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001، ص140.

[45] – http://www.alrihla.com/prize.htm – المركز العربي للأدب الجغرافي (ارتياد الآفاق)، جائزة ابن بطوطة للأدب الجغرافي.